سـامي مكـارم

ولد سامي مكارم في 14 نيسان، 1931 في عيتات احدى قرى قضاء عاليه، لبنان. وهي قرية مشرفة على بيروت تبعد عنها 20 كيلومتراً وتعلو عن سطح البحر حوالي 650 متراً.

والده الشيخ نسيب مكارم صاحب الروائع الفنية في مختلف انواع الخطوط العربية لوحاتٍ كبيرةً ومتوناً متقنة الفن، ومبدعُ الاعمال الدقيقة خطاً ورسماً على قطعٍ من الرخام والفضة راوحت بين حجم بيضة الدجاج، كاتباً عليها ما يزيد على عشرة آلاف كلمة، وحجم حبة الارزّ وحبة القمح. توصل الى ان يكتب عليها ثلاثين بيتاً من الشعر عدد كلماتها 287 ، وان يرسم عليها الاثار الضخمة كقلعة بعلبك والمعالم الصناعية المَفْصلية كأولى السيارات في العالم، وان يحفر عليها وينزل الحفر ذهباً نافراً كخريطة لبنان بانهاره ومدنه الرئيسة.

والدته وسيلة سليمان فرج من قرية عبيه احدى قرى قضاء عاليه ايضاً. وقد اشتهرت كزوجها بالتقى والفن الرفيع وانتجت اشغالاً يدوية في فن التطريز نالت عليها جوائز واوسمةً وبراءاتٍ ضُمَّتْ الى جوائز زوجها وأوسمته وبراءاته.

له ابنتان سحر ورند وابنان هما نسيب وسمير. وهو متزوج من ليلى عادل مكارم.

له شقيق واحد رحمه الله اسمه سعيد امتهن التعليم وكان يُعَدّ حجّة ثقة في اللغة العربية.

تلقى سامي مكارم علومه الابتدائية والمتوسطة في الليسيه الفرنسية في بيروت التابعة للبعثة العلمانية الفرنسية، كما تلقى علومه الثانوية في الكلية اللبنانية في سوق الغرب. اما المرحلة الجامعية فكانت في الجامعة الاميركية في بيروت حيث حاز درجة

بكالوريوس في الادب والفلسفة عام 1954 ودرجة ماجستير في الادب العربي عام 1957. وكان في غضون ذلك يدرّس الادب العربي في الكلية اللبنانية في سوق الغرب ثم في كلية الصراط في عاليه. ثم انتقل الى جامعة ميشيغان في آن آربر، ميشيغان، الولايات المتحدة الاميركية لينال منها عام 1963 درجة دكتوراه في الفلسفة في دراسات الشرق الاوسط متخصصاً في الدراسات الاسلامية الباطنية. وكان الى ذلك يدرّس اللغة العربية في الجامعة نفسها.

وعاد سامي مكارم الى لبنان في تموز 1963 ليدرّس الفكر الاسلامي في الجامعة اللبنانية. ثم عيّن في العام 1964 استاذاً مساعداً في الجامعة الاميركية في بيروت في الادب العربي والفكر الاسلامي.

وفي سنة 1970 رقي الى درجة استاذ ملازم في الجامعة الاميركية، ليرقى فيما بعد الى درجة استاذ الادب العربي والفكر الاسلامي والتصوف في الجامعة نفسها وهو مازال الى اليوم استاذاً في الجامعة الاميركية لمادة الادب العربي والفكر الاسلامي والتصوف. وقد شغل في الجامعة نفسها رئاسة دائرة الادب العربي ولغات الشرق الادنى مرتين: 1975-1978 و 1993-1996 ، كما كان استاذاً غير متفرغ في برنامج الدراسات العليا في الجامعة اللبنانية من عام 1977 الى عام 1981 . وقد عُيّن ايضاً مدير مركز دراسات الشرق الاوسط في الجامعة الاميركية في بيروت من عام 1975 الى 1978 .

كان لوفاه والده الشيخ نسيب في 4 حزيران 1971 وقع اليم على سامي مكارم. فقد خسر فيه الاب الحكيم المحبّ كما خسر فيه الفنان المبدع الذي كان يشعر فيه بالاكتفاء الفني. فقد كان الابن عندما يجد نفسه بحاجة الى التمتع بالفن يرى الى اعمال والده فيُشبع نهمه. وكان الوالد والابن الى ذلك يربطهما رابط من الصداقة والمحبة

والحميمية يفوق رابط الابُوّة والبنوّة على قوة هذا الرابط وشدته. فلما قضى الوالد شعر الابن بحاجة الى استرجاعِهِ قويةٍ. وامسى نظُره الى اعمال ابيه الفنية يخالطه الحزن ويشوبه الشعور الاليم بفقدان حبيب غاب شخصه دون رجوع. وشعر الابن برغبة ملحة الى شهوده. وإذ كان يشعر بان اباه هو في صميم قلبه وانه كان يمثل له الخَلْقَ الفني وإبداع الجمال، أخذ يحاول استعادته من خلال فنه. وبعد ثماني سنين قضى الابن بعضها في تحفّزٍ للخَلق وبعضها الآخر في التعبير من خلال ريشته، تجمعت لدى الابن باكورة من لوحات قام بعرضها في قاعةٍ من قاعات مكتبة الجامعة الاميريكية وكانت على خطى كلاسيكية الوالد. وقد نالت استحسان الجمهور مما شجّع الفنان الابن على المضيّ قدماً في الفن، متحرراً شيئاً فشيئاً من الكلاسيكية ومتخذاً من الحرف العربي منطلقاً لفنٍ تشكيلي يستوحي التراثَ في توجهاته الجمالية ومشاركته في الحداثة والابتكار والابداع ومتوغلاً في طبيعة هذا الحرف، الى جانب كونه وسيلةً للتعبير عن المعنى ، في انه غاية جمالية وظاهرة فنية بحد ذاته لما يمتاز به من بُعد في اللانهاية ومن حركية وطوعية وليونة جعلته قابلاً لأن يكون معْبراً الى جمال يتعدى المعنى الى فضاءات من الانطباعية تسرح فيها الاخْيلة والأحاسيس والعواطف لتتلاقى بالعقل والقلب معاً، فلا يبقى الفنان منفصلاً عن عمله الفني بل يسعى الى ان يشترك مع المتلقي في عواطفه وأحاسيسه وأخيلته وافكاره. وهكذا اصبحت لوحات سامي مكارم، بما فيها من شخصانية تشكيلية ومن تجريدية للحرف، معابر الى رؤى تخوض في بحر من صوفية عرفانية لا شاطئ له ولا قاع. وقد اندمج في لوحاته الحرفُ واللون والحركة لتتكون ثلاثيةٌ هي في نظر الفنان تتعدى البصر الى الخيال والرؤيةَ الى الرؤيا. وهكذا استطاع سامي مكارم ان يجمع الى جانب نشاطه الاكاديمي والفكري ومؤلفاته العلمية تراثاً من الفن التشكيلي غنياً. ولم يقتصر الفن عنده على الفن التشكيلي بل تعداه الى الشعر فصدر له، الى جانب كتبه ومقالاته وبحوثه العلمية في التصوف والاسلاميات والفن

والتاريخ والسياسة، ومئات من الاعمال الفنية التشكيلية التي عرضت في معارض كثيرة في لبنان والبلاد العربية واوروبا واميركا، ثلاثة دواوين شعرية هي "مرآة على جبل قاف" (1996)، "وضوء في مدينة الضباب" (1999)، و "قصائد حب على شاطئ مرآة" (2004)، تميزت ببعدها الصوفي وعمقها ورقتها.